مقياس : الفلسفة الأنغلوسكسونية السنة الجامعية : 2021/2020

أستاذ المقياس : الدكتور حابل ندير مستوى : السنة الثانية ماستر غربية

البراغماتية الجديدة New pragmatism رورتي (... تابع ..)

المحاضرة 9 / 10

معالم المشروع الفلسفي لرورتي : فلسفة اللا وإعادة ترميم المفاهيم

ما هي أهم ملامح وأسس المشروع الرورتي ؟ ما المفاهيم الثورية التي نحتها لتكون بدائل عن المفاهيم المحدودة ؟.

اللاحقيقة بدلا عن الحقيقة La non vérité :

شغلت مقولة الحقيقة مدار اهتمام الفكر الفلسفي في معظم حقبه وأزمنته الفكرية ، حيث اعتبرت هدفا وغاية يتم اكتشافها في أغلب النظريات و الأنساق الفكرية ، إلا أن البراغماتية ذهبت في منحى مغاير لما سبق بخصوص نظرتها للحقيقة التي لا تعتبر اكتشافا بل هي اختراع ، نحن لا نكتشف الحقيقة لأنها ليست موجودة وإنما نخترعها ، وفعل الاختراع هنا يحيل إلى الصنع والخلق كفعل يتأسس على التدخل البشري ، فالحقيقة لا نعثر عليها بل هي إنتاج وصياغة جديدة ، هذه النظرة التي نجدها عند البراغماتية الكلاسيكية ومع جيمس تحديدا الذي يرى أن الحقيقة ليست معطاة بشكل مسبق وإنما هي نتيجة بحث وصناعة ، الفكرة نفسها نجدها عند جون ديوي الذي يرى أن الحقيقة تحقق وتجسد والأفكار هي فقط أدوات وآليات وقيمتها ليست في ذاتها كأفكار وإنما بما تؤديه وتحققه من نتائج عملية ، وهنا ينظر ديوي للحقيقة نظرة آداتية .

لا يختلف رورتي عن البراغماتية الكلاسيكية في المنطلقات إلا أنه يستأنف هذه الأفكار ثوريا عندما يعلن أن الحقيقة لا تتأسس على الميتافيزيقا ولا على الابستمولوجيا ولا على الفكر الأنواري عموما ، بل تتأسس على الأخلاق والتاريخ والمصادفة ، الحقيقة ليست موضوعية بمعنى التجرد من الذاتية والخضوع لقواعد معينة ، وإنما موضوعية الحقيقة مختلفة تماما عن الموضوعية المعروفة :

- الحقيقة مستقلة تماما عن كل النظريات
- وهي ليست غاية البحث ولا هدفه النهائي
- الحقيقة خطاب مغلق تعتمد على الخيال والقدرات الإبداعية للمخيال
- التمييز بين الحقيقة والاثبات غير موجود أصلا لأن هذا التمييز في حد ذاته يتأسس على الارتياب .

اللاماهية بدل الماهية أو اللاماهوية Anti-essentialisme :

عرف الفكر الفلسفي لزمن طويل فكرة مركزية اعتبرت محددا للمفاهيم ومسارا معرفيا يرسم معالم أ] مشروع فلسفي هي فكرة " الماهية L'essence " كتصور وكمفهوم يعني في البدء أن للإنسان ماهية محددة تتمثل في كونه مكتشف الماهيات ، وأن مهمة الإنسان الأولى تتمثل في قدرته على جعل الكون (كأشياء بسيطة قابلة للمعرفة) وكل ما يحيط به ينعكس على ماهيته بتطابق ويكون معروفا لدينا بوضوح وتميز كما قال ديكارت وقبله ديموقريطس ، ويستخدم رورتي مصطلح الماهية المرآوية هنا من أجل تقريب الرؤية ، فكرة الماهية حسب رورتي تراث أفلاطوني استفادت منه الكانطية والوضعية المنطقية ، وتمكن الماهية من اللغة الجوهرية التي نستطيع بفضلها مماثلة كل الخطابات .

يرفض رورتي الماهوية كنزعة تختزل الفكر وتجعله بنية نماذج / براديغمات لا حياة فيها ، ويشترك رورتي في تجاوز الماهوية مع فلسفات الاختلاف وما بعد الحداثة على غرار: التفكيكية وغيرها ، وتعتبر اللاماهوية اتجاه ثوري يمثل امتدادا للنيتشوية سواء في صورة أفكار نيتشه الثورية أو الفلسفات التي كانت امتدادا له مثل هايدغر وديريدا ، ويمثل كل من نيتشه وهايدغر وديريدا أثرا بالغا في الثقافة الأميريكية حسب رورتي .

وقد كان هناك تصور جديد للماهية عند فلاسفة ما بعد الحداثة حيث تعني الماهية : العلاقة مع المختلف الذي لا نستغني عنه لتحديد ماهيتنا ، وعند البنيويين تعني الماهية العلاقة مع البنية ، هذه التصورات كلها تحيل إلى اللاماهوية وتتجاوز فكرة الجوهر وتنفي فكرة الحقيقة

والدلالة وتعطي أهمية للبنية والعلاقة مع المختلف، عكس التصورات الحداثية التي تقدس الماهية وتجعل منها جوهرا خالصا يمثل الحقيقة الثابتة ويمثل دلالة المحتوى التي تشبق شكله وبنيته .

وتعني اللاماهوية عند رورتي التوحيد بين الظاهر والباطن و تجاوز التمييز بينهما ، وهذا معناه تصحيح بديهية الفصل بين الظاهر السطحي الوهمي والآخر الباطني الحقيقي ، لأن الباطن هو الذي يعني الماهية والعمق دوما يعني الحقيقة التي لا تكون في سطحية في الظاهر هذه البديهية التي كانت تصدق على الإنسان وكل عناصر الوجود .

هنا يعود رورتي إلى الفيلسوف فيلارد كواين الذي تجاوز التمييز الأرسطي بين الحقائق التحليلية الضرورية والحقائق التجريبية العرضية وبالتالي تجاوز التمييز والفصل بين الماهية التي تعبر عن الأساس والمركز والعرض الذي يعبر عن الثانوي الذي يمكن الاستغناء عنه وكان يمثل الهامش .

وهنا ينتقد رورتي أضا الابستمولوجيا الحديثة التي بقيت أرسطية كونها ركزت على معرفة جوهر وماهية الكون كأساس معرفي وكحقيقة ، وأهملت باطن الكون والجوانب الخفية فيه باعتبارها أعراض لا تمثل الماهية ، وحتى اللغة لم تكن واسطة بين الإنسان والجوانب الخفية للكون وكانت هذه اللغة آداة ماهوية تعترف فقط بالجواهر الثابتة ولا تعترف بالباطن الخفي لهذا لا نجد الكلمات المناسبة لوصف خبايا النفوس .

يستثمر رورتي جينيالوجيا نيتشه وأركيولوجيا فوكو ضد الابسثمولوجيا الحديثة ليصل إلى فكرة تفضيل التاريخ على الماهية فالفلسفة ليس لها ماهية محددة ولكن لها تاريخ ، والتاريخ يسبق الماهية لأن الفلسفة لا تقول الماهيات ولكنها تفهم سياقات التاريخ .

اللاتمثيل مقابل التمثيل أو اللاتمثيلية Anti-représentationalisme :

يعني التمثيل الاعتقاد بالتمثل الحقيقي للشيء وإمكانية إدراكه ، هذا التصور الصنمي الذي يرفضه رورتي مثلما رفضه أساتذته الثلاثة الذين أعجب بهم واعتبرهم أهم فلاسفة القرن العشرين (ديوي ، هايدغر ، فتجنشتاين) ، هؤلاء الثلاثة يمثلون الخلفية النظرية لكتاب رورتي

(الفلسفة ومرآه الطبيعة) إضافة لفيرلارد كواين و ويلفرد سيلارس سعى كل هؤلاء إلى الثورة ضد النزعة التمثيلية .

وتعني اللاتمثيلية تحطيم وهم الاعتقاد بالتمثل الحقيقي للشيء من وجهات : أنطولوجية ، معرفية ، لغوية ....الخ :

- فالشيء لا يمكن تمثله وهذا عكس ما قال به : الواقعيون
- كما أن الشيء لا يمكن إدراكه ذاتيا أو معرفته وهذا عكس ما قالت به نظريات المعرفة
- واللغة ليست واسطة بين المعرفة والوجود ولا بين الكائن والكينونة وليست واسطة للتمثي والتعبير وهذا عكس ما قالت به النظريات اللسانية الحديثة .
- المعرفة ليست تمثلا عقليا ممكنا ، ولا مفهوما معقولا للتمثل .
- الفلسفة ليست تمثلا ، لأن ربط الفلسفة بالتمثل حول الفلسفة إلى القدسية التي تشبه قدسية الدين .
- الفلسفة محادثة إنسانية مفتوحة تعتبر الحرية شرطها ، وهي أقرب إلى الكتابة الأدبية التي تنجح في تجاوز شروط القمع المفروضة عليها من طرف قواعد العقلانيات الحداثية السالبة لحرية الإبداع ، ينبغي أن تكون الفلسفة مكافحة مثل الكتابة لتنجح في العبور إلى الآفاق المفتوحة وإمكانات الإبداع الموجودة في فضاءات ما بعد الحداثة ، وتدخل هذه الفكرة في اعتبار رورتي كلا من الفلسفة والأدب والكتابة الإبداعية فضاء مشتركا ، لأن الفلسفة لا تنفرد بخاصية التمثل الحقيقي للعالم كما اعتقدت العقلانية ، وليست نظرية عامة لتمثيل الأشياء كما كان معروفا منذ أفلاطون إلى كانط .
- بل الفلسفة هي اللاتمثيل وهو ما يعني التأويل الذي لا يبحث عن رؤية دقيقة للعالم بل التأويل الذي ينجح في كسر قواعد العقل وتحويل هذه القواعد إلى عادات تسمح بمواجهة العالم ، وهنا يظهر الانتقال من الصرامة والآلية العقلية الموروثة عن

الإبستمولوجيا والعقلانية إلى المرونة والانفتاح والحرية المكتسبة من التأويل الذي يهدف إلى فهم العالم .

اللاتأسيس مقابل التأسيس أو اللا تأسيسية Anti-fondationalisme :

يكون هذا المعلم نتيجة لازمة لمسار رفض الماهية والتمثل ، لأن رفض الاعتراف بالماهية ورفض تمثل الشيء هو رفض لتأسيس أي فكرة أو فهم على ما سبقه . ومن هنا كان تجاوز فكرة خلق أسس للحقيقة وللمفهوم وللمعرفة ، فقد أدت الأسس المعرفية إلى خلق مذاهب وإيديولوجيات حولت المعرفة إلى سلطة تحتكر الحقيقة وتمارس القهر على الإنسان ، كما ساهمت أسس المفاهيم في جعل المفهوم مقدسا حبيس الأسس التي يستند عليها ، وتحولت الحقيقة إلى عنوان للاستبداد الفكري ، كل هذا حتم ضرورة الانتقال إلى اللاتأسيس كمعلم للبراغماتية الجديدة وكفكرة نجدها عند بعض فلاسفة ما بعد الحداثة تحت عناوين مختلفة مثل الشكية ، والريبية اللتان تشككان في كل المنظومات الفكرية والعلمية التي تدعي امتلاك الحقيقة المطلقة وهي فكرة قديمة قدم التفكير الفلسفي تم إعادة إحياءها من جديد في حقول الفلسفة والمعرفة العلمية التي تحولت فيها حقائق العلوم الدقيقة من الضبط والمطلقية واليقين إلى الارتياب والاحتمال والنسبية .

تعني اللاتأسيسية : - رفض الأسس المطلقة للمعارف الإنسانية

- رفض كل الموضوعية كأساس للعلوم والأفكار
- رفض الحقيقة الخاضعة التي تحكمها أسس الظرف والسياق الاجتماعي والثقافي .
- رفض كل القيم الأخلاقية والإنسانية ذات الأساس المشترك مثل (الحس المشترك / المشترك الإنساني / العقل الكوني والكونية ... الخ)

تشير اللاتأسيسة إلى فكرة السلب التي تعيد الاعتبار للممارسات الاجتماعية كمحدد أساسي لكل معرفة إنسانية لأن هذه المعرفة ليست معطاة بصورة قبلية ،وبالتالي تعيد الحلقة المفقودة بين الفكر واليومي (التفكير في اليومي) بما هو إشكال ، هذه الأفكار التي نجدها عند

فلاسفة الاختلاف وما بعد الحداثة ، ويعني السلب التحول إلى النقيض أو إفراغ المفهوم من حمولته الدلالية وتحويله إلى نقيضه وهنا نجد السلب في البراغماتية الجديدة معناه تفريغ العقلانية من الأسس الصنمية التي حولت العقل إلى مصدر مشترك لا يفهم معطيات الراهن إلا بناء على أسس سابقة يستند إليها ، لهذا وجب تحطيم هذه الأسس القبلية والتفكير في الراهن لأن فهم الراهن الإنساني هو الذي يحدد معالم المستقبل الإنساني .

من الصعوبة بمكان تلخيص فلسفة رورتي ومعالم تفكيره ولكن ما يمكن استخلاصه أن أفكار رورتي تعبر عن مشروعي إنساني قيمي حاول جعل الفلسفة تنخرط في قضايا الواقع الإنساني وإشكالات الحياة من خلال العودة إلى الثقافة التي يراها عنوانا فلسفيا وهو بهذا يحيي الموروث الإغريقي الأول الذي كان يعتبر الممارسات الثقافية فلسفة .

هناك محاولة لتجديد القيم بعيدا عن الأنساق العقلانية والعودة للقيم الإنسانية الأصيلة مثل العدل والاختلاف والاعتراف بالآخر المختلف .

فلسفة رورتي هي أيضا فلسفة للمستقبل الإنساني ، وفلسفة للتفاؤل الذي رأى رورتي أنه بديل ضروري في ظل الأزمات الإنسانية التي خلفتها عدمية الفكر الغربي

هي أضيا فلسفة اجتماعية بامتياز كون رورتي يراعي فيها خصوصية المجتمع الأنجلوسكسوني والأمريكي تحديدا ، كونه مجتمع منفتح متعدد الثقافات .

ربما ما يؤخذ عليها أنها لم تنفلت من تأثير الإيديولوجيا والليبيرالية الجديدة / النيوليبيرالية التي تبدوا واضحة والتي يعترف بها رورتي ويتبناها في في دوته للتعددية الثقافية والاختلاف والعيش معا ، وبشكل عام رغم تأثير نيتشه وفلاسفة الاختلاف وما بعد الحداثة وما بعد البنيوية على تفكير رورتي ورغم مشاربه ومساراته الإبستمولوجية واللسانية والتحليلية ، يندرج رورتي ضمن فلسفة الحياة بمعناها الإيتيقي الجديد التي حاولت ترميم الوعي الإنساني وتصحيح مسارات القيم الإنسانية .